

لقاء قناة anb اللبنانية بالدكتور إبراهيم الجعفري
2006/7/21
(الحروب لا تفرق بين المذاهب)

المقدم: نبدأ بالحدث العربي الأول وهو الحرب التي يتعرض لها لبنان.. الكل يتوسل موقفاً عربياً معيناً.. وهناك من يعتبر المواقف العربية غير كافية، وهناك نقاش قرأت عنه في الأمس داخل العراق يقول: إن شأن العراقيين أقوى وأصعب، ويستطيع العراقيون أن يخرجوا بموقف، وهناك موقف عراقي آخر يؤيد لبنان.. هذا العراق الجديد الراهن حالياً أي موقف يمكن أن يعطيه في حدث كبير كالحدث اللبناني؟

الجعفري: ما يتعلق بالموقف الوطني من لبنان، فالذي نتطلع له ليس انعكاساً لمزاجية حاكم، ولا حتى سياسة حكومة.. عندما يُفترض أن ينطلق من إرادة الشعب العراقي كجزء من هذه الأمة العربية الممتدة بين هذا الأطراف المترامية والمتباعدة.. ما يحصل في لبنان اعتداء مرفوض في كل المقاسات، ولا يمكن قبوله بأي شكل من الأشكال مهما كانت الدواعي فهي لا تبرر على الإطلاق استخدام هذا المنطق ونحن نتحدث عن عصر الديمقراطية، واحترام حقوق الإنسان، وحوار الحضارات، وما شاكل ذلك.. نحن نعتبر هذا نكوصاً وتراجعاً؛ ففي الوقت الذي يناضل فيه الشعب العراقي ضد الإرهاب نسجل كذلك موقف الرفض وهو جزء لا يتجزأ من الموقف اللبناني، ونسجل إدانة لموقف الصمت العربي الذي يبدو وكأن شيئاً لم يكن في الساحة اللبنانية.

المقدم: تحدثت دولة الرئيس عن الصمت العربي.. هناك من يعتبر أحد أسباب هذا الصمت هو الحدث العراقي، وما يحصل في العراق؟

الجعفري: ما حصل في العراق يجب أن يحفز الآخرين على أن يتحدثوا بكل صراحة، وأعتقد أن ما يحدث في لبنان فرصة لأن يخرجوا للعالم، ويبرزوا الخطاب العربي المشترك فعندما يلم بأي بلد من بلداننا، وأي شعب من شعوب الأمة العربية حادث كالذي يحصل في لبنان يجب أن تتوحد جهودنا، وإذا لم تحركنا الأفعال والمبادئ فلتحركنا في أقل تقدير ردود الأفعال إزاء ما يحدث.. وعلى كل مسؤول عربي يحظى باحترام شعبه أن يتحرك على هذا الصعيد بنفس القوة التي يتحرك فيها عندما يتعرض شعبه لشيء مماثل..

المقدم: ما جرى هو تغييب القوة العراقية الاستراتيجية بعد هذه الحرب؛ ومن ثم فقدت الأمة العربية توازناً معيناً أدى إلى هذا الصمت العربي!!

الجعفري: في تقديري الحكومة العراقية السابقة (حكومة صدام) كانت تطرح شعارات أسهمت في تمزيق الصف العربي، وخرجت على ما يسمى بالإجماع العربي في شتى المحاولات، وشغلت العراق والمنطقة في حروب محلية وإقليمية؛ فلم يكن هناك إلا ركض وراء بعض الأحداث حاول النظام الصدامي أن يوهم بها الشعب العراقي، ولكن العراقيين كانوا شعباً واعياً، وناصروا القضية الفلسطينية و.. و.. إلخ.

في العراق اليوم يوجد برلمان، الذي هو إفراز عصاراة اجتماعية، وحكومة وُلدت من رحم البرلمان والمُعَوَّل عليه على الرغم من حداثة التجربة هو أن الصوت الحكومي يُحَسَّب له ألف حساب؛ لأنه يحمل قيمة جماهيرية، ويحمل قيماً ديمقراطية، ويعبّر عن إرادة الشعب العراقي الذي يتحرك، ويستنكر هذا الشيء.. تعلمنا من جراحنا التي تنزف الآن في العراق أن نوجّه بوصلتنا باتجاه جميع مناطق العالم حتى إذا لم تكن عربية، أو لم تكن مسلمة.. نظرنا إلى الإنسان بما هو الإنسان هي أنه يشكل قيماً علياً للأنظمة المستقرة، ويجب أن نشمّر عن سواعد الجد، ونوجّه الخطاب العربي إلى نصرة القضايا الإنسانية في كل العالم.

المقدم: أعلن الأمين العام لحزب الله السيد حسن نصر الله في بداية الحدث، بالقول: (انتبهوا من الفتنة ليس فقط في لبنان ولكن أيضاً في العراق، وأن هذه فرصة لكي يعرف الجميع أن هناك عدواً واحداً).. هل يمكن أن يكون الحدث اللبناني فرصة عراقية لتجاوز الفتنة أو البحث عن حلول معينة قبل الدخول في الحدث العراقي؟

الجعفري: ما يحصل في لبنان ليست معركة مذهب أي سنية – شيعية، ولا مؤسمة أي مسلمين - وغير مسلمين.

المقدم مقاطعاً: ألا تعتقد أن بين السنة والشيعية عدواً آخر يجب الانتباه إليه؟

الجعفري: هذا هو الدرس الذي يجب أن نستوحيه من التجربة اللبنانية، وعندما يغفل إنسان لبنان عن هذه المعركة سيكون الضحية في أوساط السنة وأوساط الشيعة وأوساط المارونيين على حد سواء فالجميع يخسرون... هذه معركة لا غالب فيها ولا مغلوب؛ فإذا كان هنالك من يتاجر في إحداث حالة من التفرقة بين السنة والشيعة فليتعظ مما يحصل الآن في لبنان، وعندما تهبّ عواصف التحدي لا تفرّق بين أبناء مذهب وآخر، بالعكس سر القوة يكمن في وحدة الصف اللبناني بمواجهة حالة عداة واعتداء واستباحة مدن وثروات وبنية تحتية، وعلينا أن نتخذ مما يحدث منطلقاً لتعزيز الوحدة الوطنية العراقية وتجسيدها، وعندما تتعرض عُرى الوحدة الوطنية لحالة من الخلل الآخر من موقع العداة سيحاول العدو أن ينفذ من هذه الثغرة، ويُحدث شرخاً، ويوصل البلد إلى حالة تعريق المعركة بين عراقي وعراقي، كما حصل في لبنان سابقاً حينما عمل على لبنة المعركة؛ وأصبحت بين اللبنانيين أنفسهم.. سر القوة في لبنان وحدثه، وتنوعه ليس عائقاً أمام الوحدة بل هو ثروة تجعل التعاطي بين الفرقاء السياسيين بمختلف خلفياتهم أقرب ما يكونون عليه.

المقدم: العراق دولة عربية وعضو في الجامعة العربية، وكان في الأيام القليلة الماضية اجتماع لوزراء الخارجية العرب عكس انقساماً في الموقف العربي بين من يعتبر العملية التي قام بها حزب الله مغامرة تجرّ المنطقة إلى الحرب، وبين من يعتبر أن على الأمة العربية أن تقف مع المقاومة .. أين موقف العراق ليس فقط الرسمي بل العراق بمكوناته؟

الجعفري: أنا أستغرب لهذا النقاش.. شعب لبنان الآن مستباح، ودولة لبنان مستباحة، وكذا سيادة لبنان، والبنية التحتية التي قامت بعرق جبين اللبنانيين استبيحت، فالخلاف على ماذا، ومهما تكن الأسباب أنا أعتبر أن النقاش في هذا الأمر هروب من المسؤولية المعاصرة، فليتوحد الصف العربي على مستوى المواقف، ولتوظف كل الطاقات من أجل الحد من هذا التجاوز، وإعادة الطمأنينة والسكينة والسلم والأمن إلى لبنان؛ لأن ماكنة الموت الإسرائيلية إذا لم تتوقف سننتقل من خسارة إلى أخرى.

المقدم: في الموقف الرسمي العراقي رئيس الوزراء العراقي نوري المالكي يدين ما يحصل في لبنان؛ فيخرج البيت الأبيض بتصريح يقول: إن إدانة رئيس الوزراء العراقي للغارات الإسرائيلية على لبنان تظهر حقيقة استقلال حكومة بغداد عن الولايات المتحدة.. ألا يوجد هناك حرج في هذا التصريح الأميركي الذي يبدو كأن الولايات المتحدة تعطي الحكومة العراقية حسن السلوك في هذا الشأن؟

الجعفري: أعتقد أن الحكومة العراقية لا تحتاج لأن تستعير شهادة حسن سلوك من هذا الطرف أو ذلك الطرف من غير العراقيين؛ لأن قيمة الحكومة العراقية أنها تستمد مقوماتها وكرامتها وقيمتها الحقيقية من خلال الشعب العراقي بآلياته المعروفة في البرلمان الذي انتُخب، وبالدستور كقاعدة تنظيمية لها.

موقف المالكي ليس مفاجئاً فنحن نعرف الأخ رئيس الوزراء جيداً، ونعرف نمطيته في التعامل، وطريقته في التفكير؛ وقد عبّر بأمانة عن رأي الشعب العراقي، أما الولايات المتحدة فعليها أن تحترم إرادة الشعب العراقي، وإذا لم تنسجم مع الموقف العراقي فهي لا تغير من الحقيقة شيئاً، فسيفقى الشعب العراقي يفكر بطريقته الخاصة تجاه أشقائه العرب في أي بلد من البلدان عندما يتعرض لمثل ما يتعرض له لبنان.

المقدم: لننتقل إلى الشأن العراقي وعلاقته في الولايات المتحدة، مارست الحكم على مستوى السلطة التنفيذية من خلال كونك رئيس الوزراء .. كيف يمكن أن تصف العلاقة بين الحكومة العراقية والولايات المتحدة هل هي علاقة صداقة، أم علاقة تنسيق، أم علاقة تبعية، أم علاقة مستقلة... أي نوع من العلاقة؟

الجعفري: تعاملنا مع الوضع في بدايته على أنه أمر واقع، وتمكنا من تشكيل الحكومة، واستمرت الحكومة إلى أن جاءت الحكومة المؤقتة، وبدأت العلاقة تتحرك انعكاساً لقرارات الأمم المتحدة التي أسهمنا إلى حد كبير في صنعائها، وتطورت العلاقة، وانتقلت من قضية احتلال مشر عن إلى قوات متعددة الجنسيات؛ فأصبح الأصل في وجودها هو عدم البقاء إلا بإجازة الحكومة، أو

طلب من الحكومة.. في حكومتي وافقت على تمديد وجود القوات متعددة الجنسيات لمدة سنة قابلة لإعادة النظر فيها من قبل الحكومة الجديدة بشروط، منها: موافقة الجمعية الوطنية ولو بشكل استشاري، وتحويل الأموال في صندوق — الدولي (dfi) ، وكتبت رسالة إلى الأمم المتحدة بأن من حق الحكومة العراقية أن تعيد النظر فيها فأصبح الأصل هو عدم البقاء إلا بإجازة الحكومة العراقية.

المقدم: ماذا تريد الولايات المتحدة من العراق هل هو النفط، أم تريد قواعد عسكرية، أم تريد أن تحوّل الحكومة العراقية إلى حكومة (صديقة) لها؟

الجعفري: كل هذه الاحتمالات واردة، واشنطن استطاعت أن تجعل الشعب العراقي يختار، واحترمت إرادة الشعب العراقي الذي أظهر بطولة منقطعة النظير من خلال الانتخابات، والتصويت على الدستور، وكذا الحكومة، والبرلمان الدائم كلها شهدت فترة حكومتي وفي هذه الفترة برهن الشعب العراقي ذلك، وقد تعامل الشعب العراقي مع الديمقراطية الفتية بعمق، ومارسها بشكل رائع.

المقدم: حول هوية العراق.. كيف يفكر العراقيون؛ فهناك من يعتبر أنه ليس بالضرورة أن يكون عربياً؛ لأنه متعدد الطوائف والأعراق.. المهم هو الديمقراطية الحديثة..!

الجعفري: الديمقراطية لا تعني فقدان الهوية بل تعني احترام الهوية واحترام الهويات، والتعددية من جهة الدين أو المذهب أو العرق أو القومية تعني أن تفهم الإنسان بإطاره الاجتماعي، وإلا سنتحول إلى توتاليتارية جديدة أي تأتي مجموعة بطريقة ديمقراطية، ثم تستحوذ على الحكم، ثم تعمل على إقصاء الآخر، وهذا ما نحذر منه؛ لذلك تجد التنوع العراقي يتجسد في كل إطار من الأطر في رئاسة الجمهورية، ورئاسة الوزراء، ورئاسة البرلمان وهذا التنوع ليس قراراً فوقيماً إنما هو انعكاس للبنية التحتية تفرضه الطبيعة الديمغرافية للبلد والمجتمع.

المقدم: إذن العراق بلد عربي يحترم الأقليات، وهو بلد لكل الأقليات.. كيف هي الهوية؟

الجعفري: العراق محكوم بغالبية عربية لذلك هو بلد عربي؛ وكونه بلداً عربياً لا يعني أنه لا يراعي خصوصيات المكونات الأخرى من الكرد والتركمان ووجود هذه الخصوصيات لا يتنافى على الإطلاق مع كون العراق جزءاً من الأمة العربية، وجزءاً من الأمة الإسلامية، وعضواً في مؤتمر الدول الإسلامية، وعضواً في الجامعة العربية.

هذا شيء طبيعي وليس موجوداً في العراق فقط ففي الكثير من بلدان العالم يوجد هذا التنوع وعندما تُحدّد الهوية على أساس الإجمال السكاني لا يعني مطابقة كل مركبات ذلك البلد.. قيمة الديمقراطية تكمن في كيفية حفظ التوازن بين الكل الذي يرسم هوية البلد، وحفظ ورعاية الهويات الأخرى لمركبات ذلك الشعب.

المقدم: طالما تصدّر الملف الأمني على ملفات الاقتصاد والبناء والتنمية والتربية والسياسة الخارجية!!

الجعفري: العلاقة بين الملف الأمني وبقية الملفات وطيدة الصلة؛ لأن الأمن مطلوب للخدمات وللإقتصاد وكل شيء بلا استثناء، وعندما تتفكك عرى الأمن في أي بلد تتداعى كل جوانب ذلك البلد، وتتعرض للسقوط؛ فاهتمامنا بالجانب الأمني مسألة طبيعية جداً إذ إن أقوى دولة في العالم الولايات المتحدة عندما تعرضت في 11 أيلول / سبتمبر 2001 لحادث إرهابي استحدثت وزارة جديدة، وجعلت الأمن في المقدمة..

في العراق توجد تراكمات كثيرة منها الفساد الإداري، والفساد المالي الذي يخدم الإرهاب، والتفرقة وثقافة التجزئة وانعدام الثقة كلها أمور تخدم الإرهاب، حتى البنى كانت بيد المخابرات الصدامية، وانخفاض مستوى المعيشة، وتفشي حالة البطالة سابقاً جعلت الكثير من الشباب يقعون ضحية الإرهاب.. كل هذه العوامل لعبت دوراً كبيراً في تداعي الأمن ودخول الإرهاب إلى العراق..

المقدم: هناك جدل حول أن هناك (مقاومة) أم أن كل أعمال العنف تسمى إرهاباً؟

الجعفري: العمل المسلح أو ما نسميه عنفاً سواء كان مقاومة أم إرهاباً يتواجد في حالات النظام الدكتاتوري من داخل الشعب أو الاحتلال المفروض من خارج الشعب؛ لذا حدثت الثورات فعندما تعرض البلد لحكم دكتاتوري مستبد كالذي حصل في العراق ليس لنا إلا الثورة واستخدام السلاح، وعندما يتعرض لاحتلال أجنبي أيضاً تأخذ الحالة النمطية للسلاح؛ لإخراج الأجنبي من البلد فعندما ارتضينا وسرنا في العملية السياسية التي تسير إلى جنبها العملية الديمقراطية على شكل خطوات لم يعد أي مبرر لحمل السلاح فالحكم في العرق منبعث من إرادة ديمقراطية شعبية، والقوات الأجنبية أخذت نمطية القوات متعددة الجنسيات، والتزمت بمساعدة القوات الوطنية العراقية.. ومن يقول بالمقاومة نحن نختلف معه، ولكن لا نضعه في جهة الأعداء، أعتقد أن علينا أن نقاربه، ونفهم منه كيفية تفكيره.. فتفجير الأسواق وقتل الأبرياء وتدمير البنى التحتية ليس من المقاومة في شيء؛ فالمقاومة قيم ومبادئ وخطاب وأداء وقاعدة جماهيرية..

المقدم: هل تلمح إلى أن الحل الأمني بالتعامل مع هذه الظاهرة؟

الجعفري: الحل الأمني يكمن في الحل السياسي، وكلما امتدت العملية السياسية واتسعت دائرة التعاطي السياسي تقلصت دائرة التعاطي بالسلاح.

المقدم: مبادرة المصالحة التي أطلقها رئيس الوزراء نوري المالكي، وتحفظ عليها البعض هذه المبادرة تتكون من أربعة وعشرين بنداً لا تعترف بالمقاومة، ولا تعترف بجدولة الانسحاب.. ماذا تعني حالياً، ولماذا تنطلق اليوم، ولم تنطلق أيام إبراهيم الجعفري؟

الجعفري: بالنسبة لي هذه المبادرة وغيرها أسست لها، ولم أفصح عنها، وكل مشروع لابد أن يتهياً له مناخ سياسي، وبعض المشاريع تحتاج إلى مناخ دستوري وبرلماني؛ حتى نستطيع أن ننطلق إلى الآخر، مثلاً: مشاريع الإعمار والبناء هيأنا أجواء للكثير منها لكنها تحتاج إلى تقنين من قبل البرلمان الدائم (مجلس النواب) والحكومة السابقة حكومة انتقالية، وكذا البرلمان فلم تكن مدتها أكثر من سنة.

نعم.. قلنا: لا للبعثيين الذين أوغلوا بدماء الناس، ولا زالوا يصرون على تلك ثقافة الأحادية في كل شيء، واستثنينا منهم الكثير ممن كانوا مغلوبين على أمرهم، ولم يستيحيوا دماء العراقيين.

المقدم: لمحت دولة رئيس الوزراء إلى أن هناك بعثيين مغلوبين على أمرهم، وهذا كلام جديد في السابق كان يشمل كل البعثيين.. كما أن الدكتور برهم صالح نائب رئيس الوزراء العراقي يعتبر أن هيئة اجتثاث البعث ستتحول إلى هيئة قضائية، ويقول: إن الهيئة تحولت في فترة من الفترات إلى أداة بيد مجموعة من السياسيين للنيل من خصومهم، ما رأيك؟

الجعفري: لا أعرف خلفية هذا التصريح، ولعله مقتطع عن سياقه.. فأنا منذ البدء أفرّق بين القلة من البعثيين التي أوغلت بالجريمة، والكثرة من البعثيين الذين أعبّر عنها بالكم البريء... من الخطأ أن نحكم على طلاب الجامعة وبعض المتخرجين الذين كان السيف مسلطاً على رؤوسهم والحرمان من التعيين إلا أن يسجل بأنه بعثي، وبين الذين نظّروا للقتل، ومارسوا القتل، ومارسوا المقابر الجماعية..

أما لجنة اجتثاث البعث فأنا أعتقد أن اللجنة لها وجود في الدستور، وأنها قضية مرهونة بظرفها فعندما تؤدي نتائج جيدة نكتشف أننا حصلنا على إيجابيات وإذا اصطدمنا ببعض السلبات يقتضي الأمر حينئذ أن نطور عملها.

المقدم: دولة الرئيس بعيداً عن الدستور، والعملية السياسية.. (فرق الموت) التي تشارك تنظيم القاعدة في مسؤولية تصاعد العنف بين الطائفتين (الشيعية والسنة) يبدو أن هذه الميليشيات تعمل على الحكومة، ولم يكن هناك توجه إلى حل هذه المسألة..!

الجعفري: كل الحكومات التي حكمت العراق بعد 2003 ليست مع الميليشيات والشيء المتفق عليه هو أن الميليشيات ظاهرة غير صحية في الوضع الاعتيادي، وكنا في جميع لقاءاتنا الأمنية بحضور ممثلين عن القوات متعددة الجنسيات نعمل من أجل أن نوسّع دائرة الأمن، ونزيل مبررات وجود أي ميليشيات.

المقدم: في الدقائق الأخيرة هناك سؤالان سريعان، السؤال الأول: إن جبهة التوافق منذ وقت قريب كانت تنادي بتدخل قوات عربية لحفظ السلام، والسؤال الثاني: هو ما طبيعة العلاقة الجديدة بين العراق وإيران خصوصاً بعد طلب رئيس الوزراء الحالي (نوري المالكي)، خروج (مجاهدي) خلق؛ مما يوحي بشكل من الأشكال أن هناك تنسيقاً عراقياً - إيرانياً يمهد لتقارب يمكن أن ينتقدكم الجميع عليه؟

الجعفري: ما يتعلق بالسؤال الأول فنحن منذ مجلس الحكم اتخذنا قراراً بدعوة الدول العربية والإسلامية لدخول العراق، واستثنينا من هذه العملية الدول المجاورة لأسباب؛ حتى لا تورثنا فترة دخول قوات غير عراقية إلى العراق، وتورثنا ضحايا قد تحدث حالة توتر في العلاقة بيننا وبين دول الجوار الجغرافي سواء كانت تركيا أو إيران أو السعودية أو الكويت أو الأردن أو سورية؛ لذا كنا ننوي أن نفتح العراق لاستقبال قوات متعددة الجنسيات من العالمين العربي والإسلامي، ولايزال هذا الشيء معقولاً بالتأكيد القوات العربية والإسلامية تتفهم الأداء وربما يكون وجود هؤلاء على الأرض العراقية مختلفاً عن القوات الأجنبية ومن ثم نقطع الطريق أمام من يحاولون أن يستغلوا حالة وجود أجانب ويسعروها لصالح الإرهاب، وما يتعلق بالعلاقات مع إيران فعلاقتنا معها جزء من علاقاتنا مع دول العالم عامة والدول الصديقة لنا خاصة ودول الجوار بنحو أخص فعلاقتنا مع إيران جزء من علاقاتنا مع تركيا والسعودية والكويت والأردن وسوريا..

المقدم: لكنكم متهمون أكثر بتدخل إيراني ونفوذ إيراني؟

الجعفري: نحن نرفض أي تدخل، ونسعى لتطوير العلاقة مع جميع دول الجوار من دون أن تصل إلى مستوى التدخل في الشؤون الداخلية للبلد، والمسّ بسيادته، وأعتقد أنه ليس من مصلحتنا، وليس من مصلحة أي دولة أن تتحول العلاقات الإيجابية من احترام المصالح المتبادلة إلى التدخل ومحاولة المسّ بالسيادة الوطنية.